دروس الحديث الشريف **الشيخ الطبيب محمد خير الشعال**

سلسلة الأحاديث القدسية

((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي))

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعي، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما وعملا متقبلا يا أكرم الأكرمين.

الحديث القدسي: هو الذي يكون مطلعه قال الله تعالى، أو يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى، ولا يكون هذا الكلام آية في القرآن الكريم.

وحديث اليوم، حديث قال عنه الإمام أحمد: لا أعلم لأهل الشام حديثاً أشرف من هذا الحديث، وذلك أن رواة هذا الحديث كلهم دمشقيون.

رواه الإمام النووي وهو من الشام من نوى ثم كان مشايخه فيه كلهم دمشقيون، إلى التابعي أبي إدريس الخولاني، إلى الصحابي أبي ذر رضي الله عنه، وأبو ذر مرَّ بالشام إلى النبي صلى الله عليه وسلم، إلى جبريل عليه السلام، إلى رب العالمين.

وكان أبو إدريس إذا حدّث بهذا الحديث جثا على ركبتيه، من هيبة هذا الحديث والحديث تعرفونه وتعرفون مطلعه وسأمليه عليكم بعد قليل.

وبينما كنتُ أبحث عن هذا الحديث، وجدت هذا الكلام للإمام النووي عن هذا الحديث الذي سأحدثكم به.

وذكر الإمام النووي حديثاً آخر يتعلّق بأهل الشام، أحببتُ أن أقرأه عليكم في بداية الدرس مما يُسَرُّ به المرء:

عَنْ ابْنِ حَوَالَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**سَيَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ تَكُونُوا جُنُودًا مُجَنَّدَةً جُنْدٌ بِالشَّامِ وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ وَجُنْدٌ بِالْعِرَاقِ، قَالَ ابْنُ حَوَالَةَ: خِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ فَقَالَ: عَلَيْكَ بِالشَّامِ فَإِنَّهَا خِيرَةُ اللَّهِ مِنْ أَرْضِهِ يَجْتَبِي إِلَيْهَا خِيرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ فَأَمَّا إِنْ أَبَيْتُمْ فَعَلَيْكُمْ بِيَمَنِكُمْ وَاسْقُوا مِنْ غُدُرِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَوَكَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ**)) [أبو داود].

فهذا فضل من الله عزَّ وجلَّ، نحن الذين نسكن في هذه البلدة، لكن يجب أن نكون مع الله عز وجل كما ينبغي أن يكون العبد مع سيده.

حديثنا اليوم:

عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: ((**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ**))[مسلم].

مطلع الحديث يقول الله تعالى فيه: **يا عبادي**، وتكرّرت كلمة يا عبادي في هذا الحديث، وأشرف لقب لك أن تُنسب إليه سبحانه وتعالى.

أشرف بكثير من أن يُقال لك: بروفيسور أو دكتور أو مهندس أو....الخ

ومما زادني شـــــرفاً وتيهـــــا وكـدتُ بأخمصـي أطـأ الثُّريا
دخـولي تحت قولـك يا عبـادي وأن صـــيّرت أحمد لي نبيـــا

الله عز وجل في القرآن الكريم يقول:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53].

الله تعالى يَنسبنا إليه، مع أنه يقول: أسرفوا على أنفسهم !.

أحيانا أحدنا ينزعج من ابنه فيغضب، ويقول له: اذهب لا أنا أبوك ولا أنت ابني!. لكن نحن نخطئ كثيراً مع الله، ومع هذا يقول لنا: **يا عبادي**، الحمد لله أنه لم يقل لنا: اذهبوا لا أعرفكم، ولا تعرفوني، مع أننا مخطئون، وهو جل ثناؤه يقول لنا: يا عبادي أنت منسوبون إلي.

ويقول في آية أخرى: ﴿.....فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر].

ويقول في آية أخرى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ . [الفرقان:63].

أكبر شرف لك، أن تكون عبداً له، وأكبر سمة للعبد الذل مع الحب.

أحيانا أنت تتذلل لعبد مثلك، لكن تكون لا تحبه، يوجد لك عنده حاجة فتضطر إلى أن تتذلَّل له، وتتودّد له من أجل أن يوافق، ولكن ذل بغير حب؛ وأحيانا تحب إنساناً، لكن لا تتذلل له. **أما رب العالمين فنحن معه في ذُلٍّ وحب.**

نحن أشرف ما نكون عندما نكون في أعلى مراتب الذل لله تعالى، ومن تذلّل لله رفعه الله. الحديث يقول:

يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي....

فالله لا يَظلِم أحداً، وورد في الأثر : أن الله تعالى يقول لملائكته يوم القيامة: خذوا فلانا ..(وهو كان فاجراً في الدنيا).. يقول لهم الله تعالى: خذوه إلى النار، وقد أوتي عليه بشهود من الخلائق شهدت عليه، أنه فعل كذا، وعمل كذا، وآذى فلاناً وضرب فلاناً، واعتدى على فلان؛ فيقول هذا العبد: يا رب لا يظلم عندك أحد، وأنا لا أرضى شاهداً عليّ إلا من نفسي، هؤلاء متآمرون عليّ، أنا أريد شاهداً من نفسي، فيقول الله تعالى: نعم إنه لا يُظلم عندي أحد، فيختم الله على فمه، ثم ينطق الله يده ورجله وعينه بما كانت تفعل.لا يظلم عند الله أحد.

إني حرمت الظلم على نفسي....

يوم القيامة يقتص الله تعالى من الشاة القرناء للشاة غير القرناء، فلو أن شاة قرناء نطحت شاة لا قرن لها في الدنيا ، فالله عزَّ وجلَّ يجعلها تقتص منها في الآخرة.لا يظلم عند الله أحد.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾[فصلت:46] .

يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي....

أكبر شيء يسيء لك يوم القيامة ظلمك للعباد، لذلك مهما استطعت أن تجتهد أن لا يكون في رقبتك مظلمة لعبد فافعل.

أكثر شيء تحاسب عليه يوم القيامة أن تظلم عبدا، أن تظلم رجلاً، أن تظلم طفلاً، أن تظلم امرأة....

مشكلة كبيرة : عندما يظلم رجل زوجته، طلّقتها لكن لا تظلمها، أعطها حقها كاملاً، وبدون اللجوء إلى المحكمة، فيوم القيامة: **حقوق العباد مبنية على المشاححة** .

أن تظلم امرأة زوجها، فتطلب طلاقاً بغير سبب مبرّر، أن تظلم عاملاً عندك.

أن تظلم الذين يشترون منك البضائع، تعدهم بمواعيد، ولا تنفذها، وأنت عالم بأنك لا تستطيع أن تنفذها!.

فمثلاً: مهندس يستلم عقار من أجل إنشائه أو إكسائه، فيعد صاحب الدار بأن يسلّمه له بعد ثلاثة أشهر، وهذا المهندس على يقين مئة بالمئة أن هذا الأمر يحتاج إلى ستة أشهر على الأقل، ولكن يقول لك: عِده واتركه، لأنك إن قلت له ستة أشهر لا يقبل، فخذ منه دفعة، واربطه بك، ثم اتركه، والتفت لأعمالك.

يا أخي المهندس هذه مشكلة كبيرة هذا ظلم للعبيد.

مشكلة كبيرة عندما يوهم طبيب تجميل امرأة بسوء منظر أنفها من أجل أن يجعلها تقوم بعملية تجميل أنف عنده، من أجل أن يأخذ منها مبلغاً من المال.

هذا في رقبتكِ إلى يوم القيامة، ووالله لا تنجو إلا أن تسامحك.

مشكلة كبيرة إذا طبيبة نسائية تدفع امرأة، نحو العملية القيصرية، ولو صبرت عشر دقائق أخرى لولدت ولادة طبيعي، لكن لأنها عندها ولادة أخرى في مشفى آخر، فهي

تريد أن تلحق الولادتين، فقالت لهم: ادخلوها إلى العملية القيصرية، وإلا يموت الولد وهي تكذب!.

والله لا يوجد طريقة لحل هذه المشكلة، العمرة لا تحل لكِ هذه المشكلة، والصدقة لا تحل لكِ هذه المشكلة، وحتى الحج لا يحل لكِ هذه المشكلة ؛لا يحل المشكلة إلا أن تسامحك هذه المرأة التي ظلمتيها!.

مشكلة كبيرة إذا خرج تاجر إلى الصين فاختار أسوأ نوع من البضاعة، أسوأ نوع يحقّق له ربحاً عالياً، ثم يعود ليدخل هذه البضاعة إلى البلد.

كل من اشترى من هذه البضاعة يوم القيامة سيجده أمامه، والله سيشدوه من رقبته، والتجار الآخرين الذين سبّب لهم الخسارة أيضا يوم القيامة سيوقفوه بين يدي رب العالمين.

يا عبادي لا تظالموا....

حقوق العباد مبنية على المشاححة، وحتى رمضان لا يذهبها، لذلك تعالوا كلنا نقوم بإعادة ترتيب لأمورنا.

لا تظلم أحداً.....

النبي صلى الله عليه وسلم بعث جارية لتشتري له شيئا من السوق فتأخرت فذهب يبحث عنها فرآها تلعب مع الأولاد الصغار فقال لها والله لولا خشية القصاص لأوجعتك بهذا السواك مع أنها خادمة عنده لم يضربها بالسواك.

فكيف تصرخ في وجه هذه الخادمة التي عندك ؟! كيف تقول لها: اذهبي من وجهي أنتِ اليوم ليس لك فطور، حتى ننتهي نحن من الإفطار !، أنت ظالم .

يا عبادي لا تظالموا...

هذا أشرف حديث لأهل الشام، لكن هذا على أساس أن نطبقه، والحديث لأهل الشام الذين لا يَظلِم بعضهم بعضاً.

أما إن كان التاجر يظلم أخاه، والأخ يظلم أخاه، والجار يظلم جاره، والزوج يظلم زوجته ، والابن يظلم والديه ، فكيف يتكفّل بأهل الشام، لم تعد داخلاً في هذا التكفل، أصبحتَ خارج دائرة الصلاح الموجودة في أهل الشام.

يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا

عن أم سلمة، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في بيتها، فدعا وصيفة له – أو لها – فأبطأت، فاستبان الغضب في وجهه، فقامت أم سلمة إلى الحجاب، فوجدت الوصيفة تلعب، ومعه سواك، فقال صلى الله عليه وسلم: ((**لولا خشية القَوَد يوم القيامة، لأوجعتك بهذا السواك**)) [البخاري في الأدب المفرد]. **القود** :**القصاص**.

عن جابر، قال: لما رجعت مهاجرة البحر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**ألا تحدثوني بأعجب ما رأيتم بأرض الحبشة ؟**)) **قال فتية منهم: يا رسول الله، بينما نحن جلوس إذ مرت علينا عجوز من عجائز رهبانيتهم ، تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثم دفعها فخرت على ركبتيها، فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إلي، فقالت: سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله عز وجل الكرسي، وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، سوف تعلم كيف أمري وأمرك. قال: يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((صدقت، ثم صدقت، كيف يقدس الله عز وجل قوما لا يؤخذ من شديدهم لضعيفهم ؟)) [ابن حبان]**.

مرةً ابن عمرو بن العاص -وعمرو بن العاص هو الذي فتح مصر- ضرب قبطياً مصرياً سابقه، فالقبطي سبق عبد الله بن عمرو، فقام عبد الله بن عمرو بن العاص بضربه على رأسه بالسوط، وقال له: كيف تسبقني وأنا ابن فاتح مصر!.

القبطي نزل إلى المدينة المنورة، واشتكى إلى عمر بن الخطاب، فأرسل عمر رسوله بأن يحضروا عبد الله بن عمرو بن العاص وأباه، فجيء بهما إلى عمر فشاهدوا القبطي.

فقال عمر للقبطي : هذا الذي ضَرَبك على رأسك؟

فقال القبطي: نعم.

قال عمر :يا عبد الله أضربته؟

قال : نعم ضربته.

فقال عمر للقبطي: خُذ هذا السوط، واضربه على رأسه كما ضربك!.

الشاهد هنا: الصحابة كانوا حاضرين، قالوا: فضربه ونحن نحب أن يضربه -يجب أن يضربه، ولا يجوز أن يظلم أحد الآخر في هذه البلد-.

عندما انتهى، قال له عمر: اضرب على رأس أبيه، أي على رأس عمرو بن العاص.

فقال عمرو: يا أمير المؤمنين، أنا لا دخل لي، ابني الذي ضربه، فقال له: **إنما ضربه بسلطانك**.

فقال القبطي: يا أمير المؤمنين ضربني وضربته، لا أريد أكثر من حقي.

فلو كنت مدير الشركة، كيف يدخل ابنك إلى الشركة، ويصرخ في وجه هذا، ويطرد هذا، ويؤذي هذا ! ولو كنت مدير الشركة، لكنك في النهاية عبد.

يجب عليك أن تؤدّب ابنك، وتربّيه، وتعلّمه كيف يحترم الآخرين، أما أن يسيء للعباد فهذا غير مقبول.

النتيجة العملية:

أرجوكم لا أحد يظلم أحداً حتى ننجو في الآخرة،كثير من حقوق الله رب العالمين يسامحنا فيها، لكن لا تظلم أحدا، لا تأتي يوم القيامة، وأنت تحمل بين يديك ظلماً لعبد من العبيد.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.والحمد لله ب العالمين .